استئناف ابتدائي وهو مفتتح الغرض وما قبله كالتنبيه والإنذار .

و (ربما) مركبة من " رب " . وهو حرف يدل على تنكير مدخوله ويجر ويختص بالأسماء . وهو بتخفيف الباء وتشديدها في جميع الأحوال . وفيها عدة لغات .

وقرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء . وقرأ الباقون بتشديدها .

واقترنت بها (ما) الكافة ل (رب) عن العمل . ودخول (ما) بعد (رب) يكف عملها غالبا . وبذلك يصح دخولها على الأفعال . فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يراد بها التقليل .

والأكثر أن يكون فعلا ماضيا وقد يكون مضارعا للدلالة على الاستقبال كما هنا . ولا حاجة إلى تأويله بالماضي في التحقق .

الماضي منزلة منزل بأنه الآية نحو وتأول الماضي على دخولها أوجب من النحويين ومن A E لتحققه . ومعنى الاستقبال هنا واضح لأن الكفار لم يودوا أن يكونوا مسلمين قبل ظهور قوة الإسلام من وقت الهجرة .

والكلام خبر مستعمل في التهديد والتهويل في عدم اتباعهم دين الإسلام والمعنى : قد يود الذين كفروا لو كانوا أسلموا .

والتقليل هنا مستعمل في التهكم والتخويف أي احذروا ودادتكم أن تكونوا مسلمين فلعلها أن تقع نادرا كما يقول العرب في التوبيخ : لعلك ستندم على فعلك وهم لا يشكون في تندمه وإنما يريدون أنه لو كان الندم مشكوكا فيه لكان حقا عليك أن تفعل ما قد تندم على التفريط فيه لكي لا تندم لأن العاقل يتحرز من الضر المظنون كما يتحرز من المتيقن .

والمعنى أنهم قد يودون أن يكونوا أسلموا ولكن بعد الفوات .

والإتيان بفعل الكون الماضي للدلالة على أنهم يودون الإسلام بعد مضي وقت التمكن من إيقاعه وذلك عند ما يقتلون بأيدي المسلمين وعند حضور يوم الجزاء ؛ وقد ود المشركون ذلك غير مرة في الحياة الدنيا حين شاهدوا نصر المسلمين .

وعن ابن مسعود : ود كفار قريش ذلك يوم بدر حين رأوا نصر المسلمين . ويتمنون ذلك في الآخرة حين يساقون إلى النار لكفرهم قال تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) . وكذلك إذا أخرج عصاة المسلمين من النار ود الذين كفروا في النار لو كانوا مسلمين على أنهم قد ردوا ذلك غير مرة وكتموه في نفوسهم عنادا وكفرا . قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا في نفوسهم عنادا وكفرا .

قال تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) أي فلا يصرحون به .

و (لو) في (لو كانوا مسلمين) مستعملة في التمني لأن أصلها الشرطية إذ هي حرف امتناع لامتناع فهي مناسبة لمعنى التمني الذي هو طلب الأمر الممتنع الحصول فإذا وقعت بعد ما يدل على التمني استعملت في ذلك كأنها على تقدير قول محذوف يقوله المتمني ولما حذف فعل القول عدل في حكاية المقول إلى حكايته بالمعنى . فأصل (لو كانوا مسلمين) لو كنا مسلمين .

والتزم حذف جواب (لو) اكتفاء بدلالة المقام عليه ثم شاع حذف القول فأفادت (لو) معنى المصدرية فصار المعنى : يود الذين كفروا كونهم مسلمين ولذلك عدوها من حروف المصدرية وإنما المصدر معنى عارض في الكلام وليس مدلولها بالوضع .

(ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون [3]) لما دلت (رب) على التقليل اقتضت أن استمرارهم على غلوائهم هو أكثر حالهم وهو الإعراض عما يدعوهم إليه الإسلام من الكمال النفسي فبإعراضهم عنه رضوا لأنفسهم بحياة الأنعام وهي الاقتصار على اللذات الجسدية فخوطب الرسول A بما يعرض لهم بذلك من أن حياتهم حياة أكل وشرب . وذلك مما يتعيرون به في مجاري أقوالهم كما في قول الحطيئة : .

دع المكارم لا تنهض لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي وهم منغمسون فيما يتعيرون به في أعمالهم قال تعالى (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) .

و (ذر) أمر لم يسمع له ماض في كلامهم . وهو بمعنى الترك . وتقدم في قوله (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) في سورة الأنعام